الاسلامية بأنها نزعات طاغية مضطرب الذهن ، تكون فى مجموعها برنامجاً إصلاحياً شاملا ، وترمى فى مجموعها إلى تحقيق غايات لا ريب فى حكمتها وسموها

يقول العلامة دوزى : « لم تكن قوانين الحاكم سخيفة كما يحب أن يصورها الرواة السنيون الذين اعتادوا أن يقدموا الينا من هذا الأمير شخصية مضحكة لاصورة حقة » ثم يقول : « ولقد أراد الحاكم أن يكافح الانحلال الشامل الذى سرى إلى مجتمع عصره بقوانين بوليسية صارمة ، وأحياناً غريبة شاذة » ثم يشرح رأيه بعد ذلك على ضوء هذه القوانين والأحكام المختلفة ، ويحدثنا بعطف عن تواضع الحاكم وتقشفه[1] ويقول ميلر بعد أن يلخص قوانين الحاكم الاجتماعية ، « إن هذه التصرفات ليست كلها تنم عن الحماقة ؛ وإذا كنا لانستطيع أن نعلل كل أعماله ، فليس ذلك مما يحملنا على أن نعتبر تصرفاته فورة أهواء مستبد ، ولا سيما ونحن نراها فى نواحى أخرى سليمة معقولة . وكل ما وصلنا من الروايات إنما هو وقائع مجردة ، مشوهة ومبالغ فيها بلا ريب ؛ وإنه ليكون من المدهش اليوم أن نستطيع أن نحل رموز هذه المعضلة الشاملة » ثم يقول : « وليس لدينا إلا أن نعتقد أنه إما باطني متعصب ، توهم فى نفسه الاغراق والالوهية ، وإما أمير ذكى بارع فى تاريخ أسرته ومذهبها ، واعتقد انه يستطيع أن يسمو فوق البشر وأن يحتقرهم ويصنفهم كالشمع طوع إرادته . وربما كان يجمع فى طبيعته المتناقضة بين شئ من هذا وشئ من ذاك . وربما لايستطيع أن يظفر بالحقيقة هنا سوى خيال شاعر »[2]

والخلاصة أن الحاكم بأمر الله لم يكن تلك الشخصية الوضيعة الساذجة ، ولاتلك العقلية المخرفة التي تقدمها الينا الرواية ؛ ولم تكن أعماله وأحكامه ، كما صورت على كر العصور ، مزيجاً من النزعات والأهواء الجنونية ؛ إنما كان الحاكم لغز عصره ، وكان ذهناً بعيد الغور ، وافر الابتكار ؛ وكان عقلية تسمو على مجتمعها وتتقدم عصرها بمراحل . وكان بالاختصار عبقرية يجب أن تتبوأ فى التاريخ مكانها الحق

تم البحث

محمد عبد الله عنان
المحامى

النقل ممنوع

(١) Dozy : Essai sur l'islamisme P. 287 & 288

(٢) Müller; ibid; P. 630

# سقراط والعالم الاسلامى

## للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد لهجت ألسنة الأثينيين باسم حكيم لا كالحكماء ، وفيلسوف لا كالفلاسفة . لا يتفق شكله وزيه مع جلال الحكمة ، ولا يتلاءم أصله ونسبه مع عظمة الفلسفة . فقد كان أفطس الأنف ، مرسل الشعر فى غير انتظام ، حافى القدمين ، حاسر الرأس ، مرتدياً كساء غليظاً . أبوه نقاش وأمه قابلة : مهنتان ليس لهما من الشرف نصيب كبير[1] وهو مع هذا يناقض أهل أثينا ، ويبين خطأهم ، ويسفه أحلامهم ، دون أن يدعى الاتيان بجديد ، أو تعليم الناس مالم يعرفوه . أجل لم يك هذا الفيلسوف رئيس مدرسة يجتمع فيها الطلاب ، ولا صاحب نظرية محدودة يتدارسها الأتباع والتلاميذ . بل كان يبعث حكمته فى الأسواق والطرقات ، ويلقى درسه أمام الحوانيت وفى ملاعب الشبان . وما كان هذا الدرس وتلك الحكمة إلا إعلانه دائماً أنه لا يعرف شيئاً ، وترديده لهذه الجملة المأثورة : « اعرف نفسك بنفسك »[2] . ذلكم الحكيم الغريب شكله ، القبيح منظره ، الشاذة تعاليمه وطريقته ، هو سقراط الذى نهج بالفلسفة منهجاً جديداً ، وكان على رأس طوائف فلسفية متعددة ومتباينة[3]

بين فلاسفة الأغريق ثلاثة أسماء لا يكاد الانسان يذكر واحداً منها إلا وحضر بذهنه الآخرون . ومن ذا الذى يلفظ اسم أفلاطون دون أن يخطر بباله أنه كان تلميذاً لسقراط وأستاذاً لأرسطو ؟ أو من ذا الذى يتكلم عن سقراط ولا يلحظ تلميذه أفلاطون وتلميذ تلميذه أرسطو ؟ وفى الحق إن هؤلاء الحكماء الثلاثة يكمل بعضهم بعضاً : تضافروا على تكوين نظرية مشتركة نشأت بين يدى الأول ، وترعرعت لدى الثانى ، وأخذت شكلها الكامل عند الأخير . فكلهم أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض وعنى بالانسان فى تفكيره وسلوكه أكثر من عنايته بالشؤون

(١) Bréhier, Histoire de la philosophie, I, 89 — 60.

(٢) Rivaud, Les grands courants de la peusée antique, 72 — 73.

(٣) Bréhier, vp. cit., I, 89.

الطبيعية فى نظامها وتقلبها . وكلهم بحث عن الفكرة l'idée ou le concept فى طريق تكونها ، وأصل نشأتها ، ودرجة وجودها وبذا كانوا جميعاً أساتذة « الفلســفة الفكرية » la philosophie conceptuelle التى لعبت دوراً هاماً فى تاريخ الدراسات النظرية ، والتى لا تزال عماد البحث العقلى الى اليوم[1]

لم يقف نفوذ سقراط عند الشعبة الأفلاطونية والأرسطوية ، بل تعداها الى مدارس أخرى كانت من أشد الناس عداء لأفلاطون وأرسطو . فاليجاريك تلاميذ أقليد الميجارى Euclide de Mégare ، والسينيك أتباع أنطستين Antisthènes يصعدون الى سقراط ، وإن كانوا من أول من خرج على المنطق ، وشكك الناس فى الحقيقة وكيفية الوصول إليها . فهم بهذا من أكبر خصوم « الفلسفة الفكرية » التى تحدثنا عنها . والأخلاق لدى أصحاب الرواق تعتمد على أساس سقراطى واضح ؛ فالرواقيون يرون ـ كما يرى سقراط ـ أن الحسن ما أملته الارادة ، وما اتفق مع العاطفة الشخصية . وعلى هذا يجب أن تؤسس الأخلاق لديهم جميعاً على دعامة من العزيمة والشعور الفردى[2] . وطريقة اللاأدريين فى الحوار والمناقشة متأثرة قطعاً بطريقة سقراط ومن قبله من السوفسطائيين[3]

ذلكم هو سقراط فى العالم الأغريقى ؛ وبودنا أن نعرف على أية صورة وصل الى العالم العربى ، وهل وجد بين العرب أنصاراً وأتباعاً مثلما وجد بين الأغريق ، وهل عُنى المسلمون بشأنه عنايتهم بأفلاطون وأرسطو ؟ مما لا شك فيه أن هذين الأخيرين ملكا على العرب الجانب الأعظم من تفكيرهم الفلسفى ، وكانا موضع شغل الباحثين منهم ، ولعل ذلك راجع الى أن قدراً كبيراً من كتبهما ترجم الى العربيــة ، فساعد على دراستهما دراسة مستفيضة . أما سقراط فلم ينفذ الى الفكر الاسلامى إلا بواسطة ما رواه على لسانه أفلاطون وأرسـطو وبعض المؤرخين أمثال بلوتارك . بيد أن شيخ أثينا هذا ، ورسول « أبولون » ، وترجمان وحى « دلف »[4] قد أثر فى نواح عربية هامة غامضة ؛ وسنحاول الكشف عنها اليوم

فى سقراط ظاهرتان هامتان : حياته أو إن شئت شخصيته الغريبة ، وطريقته وتعاليمه ؛ وقد يكون ذيوع صوته راجعاً الى الأولى أكثر من رجوعه الى الثانية . فكثير من الناس يعرف سقراط الزاهد المتقشف الذى أعرض عن ملاذ الدنيا ، فلم يشرب نبيذاً قط ، ولم يتناول طعاماً شهياً ؛ وكثير منهم يعرف سقراط القوى العزيمة الذى لا يخضع لارادة غير إرادة الحق ، مهما عظم شأنها ؛ وكثير منهم يعرف سقراط البطل الذى ضحى بنفسه آمناً مطمئناً فى سبيل رأيه وعقيدته . كل هؤلاء يعرفون ذلك من سقراط ، وإن خفيت عليهم آراؤه ونظرياته . هذه الظاهرة الهامة فى الفيلسوف الأثينى هى التى بهرت المسلمين بوجه خاص ؛ فراعهم منه شخصه أكثر مما راعهم علمه ودرسه . وإنا إذا رجعنا إلى كتب التراجم العربية وجدنا أنها لا تكاد تدرس إلا حياته وقصة موته . فابن النديم الذى ترجم له فى اختصار بلغ حد الأخلال اكتفى بأن قال إنه « كان زاهداً خطيباً حكيماً قتله اليونانيون لأنه خالفهم »[1]، والقفطى الذى وقف عليه نحو تسع صفحات من القطع الكبير بين فى تفصيل كيف حوكم هذا المتهم البرئ ، وكيف نفذ فيه حكم الاعدام[2] . وابن أبى أصيبعة يشارك القفطى فى ترجمته المطولة ، ويضم اليها بعض حكم يعزوها إلى سقراط[3] . الا أن هـذه التراجم فى جملتها تحوى أخطاء يجدر بنا أن نشير إلى بعضها . فمثلاً يزعم ابن النديم ومن جاء بعده أن سـقراط ألف مقالة فى السياسة ، ورسالة فى السيرة الجميلة ؛ والحق أن هذا الفيلسوف لم يكتب شيئاً قط[4] . ومن الغريب أن ابن أبى أصيبعة قد تنبه إلى هذا ولاحظ أن سقراط « لم يصنف كتاباً ، ولا أملى على أحد من تلاميذه ما أثبته فى قرطاس ، وإنما كان يلقنهم علمه تلقيناً لا غير »[5] ؛ ولكنه عاد فوقع فيما وقع فيه من قبله من الخطأ[6] . ويكاد يجمع أصحاب

(١) Ross, Aristotle's Metaphysics, I, XXX III et suiv

(٢) Bréhier, op. cit., I, 261 et suiv.

(٣) Janet. Histoire de la philosophie. 413—14.

(٤) Rivaud, op. cit., 179—180.

(٥) نحن نشير هنا الى ما رواه أفلاطون من أن سقراط كان مبعوث « أبولون » وترجمان الآلهـــة : voir Platon, Euthyphron, 3 b, Alcibiade, 103—105e

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ٢٤٥

(٢) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ١٩٧ — ٢٠٦

(٣) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ١ ، ٤٣ — ٤٩

(٤) ابن النديم ، الفهرست ، ٢٤٥ — ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ١ ، ٤٩

(٥) ابن أبى أصيبعة ، المصدر نفسه ، ٤٣

(٦) المصدر نفسه ، ٤٩

التراجم هؤلاء على أن سقراط عاش ثمانين سنة أو جاوزها إلى مائة ، مع أنه توفى عن إحدى وسبعين سنة [١] . ويروى القفطى عن بعضهم أن سقراط كان شآميا ، وهذا خطأ واضح ، فان هذا الحكيم أثيني فى نشأته ونسبه ، ويمثل أول خطوة فى الحركة الفلسفية التى دامت فى أثينا نحو قرن أو يزيد [٢] . ومهما يكن من شىء فانا إن غضضنا الطرف عن هذه الهفوات الصغيرة وجدنا أن هؤلاء المؤلفين وصفوا حياة سقراط فى جزئياتها الهامة

لم تَلْفِت هذه الحياة العظيمة نظر مؤرخى العرب وحدهم ، بل كان لها أثر بين على طائفة من الفلاسفة والعلماء . فالكندى بلغ به حبه للفيلسوف الأغريقى وإعجابه به أن كتب فيه عدة مؤلفات ، منها : رسالة فى خبر فضيلة سقراط ، رسالة فى ألفاظه ، رسالة فيما جرى بينه وبين الحرانيين ، رسالة فى موته [٣] . وهناك تشابه بين سقراط والكندى لن يفوتنا أن ننبه اليه ؛ فلئن كان الأول قد مهد « للفلسفة الفكرية » فى العالم الأغريقى ووضحها بأمثلة من الأخلاق والحياة الدارجة ، فان الثانى هو أول من اتجه نحو الدراسات الفلسفية فى العالم العربى [٤] . وإخوان الصفاء يصعدون بسقراط الى درجة النبوة ، ويعقدون لموته فصلاً قيما فى رسائلهم ؛ وعلهم استقوه مما كتبه الكندى من قبل [٥] . ويرى الرازى طبيب الاسلام الأكبر وفيلسوفه الذى لم يدرس بعد الدرس اللائق به أن سقراط هو الفيلسوف الحق ، ويعارض به أتباع أرسطو من زملائه ومعاصريه المسلمين [٦] . ومعروف ما بين الرازى وإخوان الصفاء من صلات فى العقيدة والآراء الفلسفية والسياسية . فلسقراط إذاً أبناء وتلاميذ فى الديار الاسلامية ، كما كان له من قبل فى البلاد الأغريقية ؛ وهؤلاء التلاميذ ألصق بشعبة الاسماعيلية والمتصوفة الذين شاءوا أن ينهجوا نهج حكيم أثينا فى زهده وتقشفه ، وأن يتفانوا تفانيه فى نصرة مبادئهم

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ٢٤٥ — ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء I ، ٤٧

(٢) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ١٩٨

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ٢٦٠

(٤) Madkour, La place d'al Fârâbî, p. 8—9.

(٥) اخوان الصفا ، رسائل ، ١٧ ، ٩٩ — ١٠٠ ( طبعة مصر )

(٦) ماسينيو ، محاضرات غير مطبوعة بالكوليج دى فرانس ، ١٩٣٣

أما تعاليم سقراط ، وإن بدت ثانوية فى نظر مفكرى الاسلام ، فانها لم تكن مجهولة لديهم . وقد اختص الشهرستانى بايراد أكبر قدر منها فى كتابه الملل والنحل . فهو يعرض أولاً آراء سقراط الدينية والميتافيزيقية ، مبيناً ما قاله فى صفات البارئ وذاته ، ومفيضاً فى ذلك بدرجة محسوسة [١] . ثم يجاوز هذا الى الكلام عن مذهب سقراط فى المبادئ والعلل [٢] ، وفى أزلية النفوس الانسانية ووجودها السابق لوجود الأبدان [٣] . وهذه الآراء المنسوبة إلى سقراط قد جاءت بنصها على لسان أفلاطون ؛ على أن العرب أنفسهم لم يستقوها إلا من مؤلفات الأخير . وهنا تعترضنا مشكلة تاريخية مشهورة ، ألا وهى أنا إن سلمنا بأن كل ماوراء أفلاطون باسم أستاذه من عمل الثانى لم يبق للأول شىء وعلى العكس من ذلك إن كانت مؤلفات التلميذ تترجم عن رأيه الخاص فانا لانكاد نجد لسقراط نظرية مستقلة ؛ وقد كنا نأمل أن نحل هذه العقدة التى حار فيها المؤرخون المعاصرون على ضوء المصادر الاسلامية ، فلم نظفر فيها بما ينقع الغلة . وفى رأينا أن سقراط لم يعن بتكوين نظريات فلسفية مفصلة ، وكل مهمته أنه أشار إلى أفكار عامة تولاها أفلاطون من بعده بالدرس والتحليل

بيد أن لسقراط عملاً آخر شخصياً لاينكره عليه أحد ؛ وهو طريقته الجدلية المبنية على الاستنباط والتشكيك . بهذه الطريقة اشتهر ، وبها تمكن من قهر جماعة السوفسطائيين ، وبواسطتها أصلح كثيراً من الأخطاء الشائعة ، ومهد السبيل لتكوين الأفكار العامة . وقد وصلت هذه الطريقة إلى العرب — كما وصلت إلى المحدثين — فى ثنايا كتب أرسطو وأفلاطون ؛ ولفلاسفة الاسلام فى شرحها ومناقشتها أبحاث مختلفة [٤] ؛ فسقراط المثل الأعلى فى التضحية ، وسقراط الباحث النظرى ، وسقراط المناظر القوى الحجة قد وجد فى العالم العربى أتباعاً وتلاميذ ، بل أنصاراً ومجذبين

ابراهيم بيومى مدكور
دكتور فى الآداب والفلسفة

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل ( طبعة مصر بهامش الفصل لابن حزم ) ( III ) ٢٧ — ٣١

(٢) المصدر نفسه ، ٣١ — ٣٢

(٣) المصدر نفسه ، ٣٢ — ٣٣

(٤) Madkour, L'organon d'Aristote..., p. 133.